

الدرس 21 وفاة النبي ﷺ وصاياه

أهداف الدرس

1. أن أدرك عظم مكانة الرسول ﷺ عند الصحابة رضي الله عنهم.
2. أن أتعرف بعض وصايا الرسول ﷺ قبل وفاته.
3. أن أعظم مقام النبي ﷺ وأعمل بوصاياه.

تمهيد

لقد كان لوفاة النبي ﷺ وقع كبير على الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان سبب هدايتهم، ودليلهم إلى ما فيه خيرهم، يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فاستقامت حياتهم، وتآلفت قلوبهم، واجتمعت كلمتهم، وقويت صلتهم بالله تعالى، واشتدت محبتهم لرسوله ﷺ.

فما أثر وفاة النبي ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم؟ وما هي أبرز الوصايا التي وجهها ﷺ لأُمَّته قبل وفاته؟

النصوص

النص 1:

«جاءه جبريل يعودُه ﷺ من جهة الله إكراما له في ثلاثة أيام، واستأذن عليه ملك الموت ولم يستأذن على أحد من الأنبياء الأعلام، فلما نزل به ما لا محيد للخلق عن لقائه، جعل يمسح وجهه بالماء ويسأل الإعانة في دعائه، ثم شخص بصره إلى السماء حيث حان التحويل، وخير فاختار الرفيق الأعلى... وتوفي لاثنتي عشرة من ربيع الأول عن ثلاث وستين...، ودفن في بيت عائشة، وفيه كانت وفاته».

[المقتفى من سيرة المصطفى لابن حبيب الحلبي ص 241 - 242 - بتصرف-].

النص 2:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة الصلاة...».

[مسند الإمام أحمد: مسند أنس بن مالك، حديث 12169].

الفهم

استخلاص المضامين:

1. أحدد تاريخ وفاة الرسول ﷺ.
2. أستخرج من النص الثاني آخر وصايا النبي ﷺ قبل وفاته.

الشرح:

معيد: مهرب ومفرّ.

شخص بصره: اتّسعت عيناه دون أن تطرف.

حان التحويل: وصل وقت الانتقال والرحلة إلى الدار الآخرة.

التحليل

أولا: التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى وأثر ذلك على أصحابه رضي الله عنهم

أ- مرضه ﷺ ووفاته

بدأه - عليه الصلاة والسلام - مرضه في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة، واستمرّ مريضا ثلاثة عشر يوما، كان في خلالها ينتقل بين بيوت أزواجه، ولما اشتدّ عليه المرض استأذنهن أن يمرض في بيت أمنا عائشة - رضي الله عنها - فأذنّ له، ولما دخل بيتها اشتدّ عليه وجعه، حتى تعذر عليه الخروج

إلى الصلاة، فقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس...» وبينما المسلمون في صلاة الفجر يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة - رضي الله عنها - فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر - رضي الله عنه - على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتتوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، ثم لم تأت على رسول الله ﷺ صلاة أخرى حتى التحق بالرفيق الأعلى. وحين اشتدت وطأة المرض على النبي ﷺ، جعل يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات. الرفيق الأعلى»، فلم يزل يقولها حتى مات.

[ينظر الرحيق المختوم، ص 403، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر، ص 271].

ب- أثر وفاة سيدنا محمد ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم: حنين وشوق ووفاء

بدت من الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- عند وفاة الرسول ﷺ مواقف ملؤها الحزن على فراق سيد الخلق ﷺ، والشعور بالشوق إلى شخصه الكريم، والحنين إلى مجالسه وكلامه وإرشاده، والصلاة وراءه، مع تسليمهم بقضاء الله ورضاهم بقدره، وعزمهم على التمسك بما ترك فيهم من هدى الكتاب والسنة. فقد قام أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عقب هذا الحدث العظيم يثبت الصحابة -رضوان الله عليهم- ويذكرهم بالله عز وجل الحي القيوم، وبحقيقة الموت الحاكم على كل نفس، وبما علمهم النبي ﷺ من مبادئ الإسلام وعقيدته التي هي الملجأ الحصين في مثل هذه المواقف العصبية، فخطب فيهم بكلمته المشهورة التي قال فيها: «ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّمَا مَيِّتُ وَإِنَّكُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 29] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ

وَمَرَّيْنَقَلْبَ عَلَيَّ غَفِيْبِهِ فَلَمْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْءًا وَسَيَجْزِي اللّٰهَ الشّٰكِرِيْنَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: 144]، قال: فنشج الناس بـيكون». [صحيح البخاري: كتاب الفضائل، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا ...].

ثانيا: من وصايا رسول الله ﷺ قبل وفاته

قبل وفاة رسول الله ﷺ أرشد أمته إلى جملة من الوصايا العظيمة التي فيها خيرها وصلاحها من بعده، ومنها:

من وصايا النبي ﷺ	ما يجب علي لتطبيقها
قال ﷺ: « وقد تركت فيكم ما لن تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللّٰهِ » [صحيح مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ]	أستمسك بديني متخذا القرآن الكريم منهج حياتي وسبيل هدايتي، وسنة النبي ﷺ قدوتي تربية وقولا وسلوكا.
عن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ « الصلاة، الصلاة ... » [سنن أبي داود: كتاب النوم].	أحافظ على إقامة الصلاة في أوقاتها؛ لأنها نور قلبي وقرّة عيني وحجتي يوم القيامة، وسبيل استقامتي وحصني من الفحشاء والمنكر وسوء الخلق.
قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلّمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» [صحيح البخاري: كتاب في اللقطة، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلّمه].	أسعى في خدمة الخلق ورعاية مصالحهم وحقوقهم، وأدرك أن ذلك من أفضل الأعمال التي ترفع مقامي عند الله تعالى.

ثالثاً: أهتدي وأقتدي

أحرص على تعظيم النبي ﷺ بعد موته بما أرشد إليه القاضي عياض - رحمه الله - في قوله: «واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم، كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته.

قال أبو إبراهيم التجيبى: واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقر ويسكن من حركته، يأخذ في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به.

قال القاضي أبو الفضل: وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم». [الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ج 2 ص 288].

التقويم

1. ما الحقائق العظمى التي تستنبط من وفاة سيدنا محمد ﷺ ؟
2. أحدّد ما يدل على عِظَم مكانة الرسول ﷺ عند الصحابة رضوان الله عليهم.
3. أوصى النبي ﷺ بالصلاة قبل وفاته، ما دلالة هذه الوصية؟
4. أذكر ما يحصل به تعظيم النبي ﷺ في أقوالي وعباداتي ومعاملاتي.

الاستثمار

قال الإمام مالك رحمه الله: «وإن حرمة ﷺ حيا كحرمة ميتا».

[الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج 2 ص 289-288].

أكتب مقالا أحل فيه مضمون قول الإمام مالك - رحمه الله - ، مستشهدا بمواقف من هدي الصحابة - رضوان الله عليهم - وسيرة الإمام مالك - رحمه الله - في محبة النبي ﷺ وتعظيم سنته بعد موته.

الإعداد القبلي

أبحث في القرآن الكريم وكتب الحديث والسيرة النبوية والشمائل المحمدية عن صفات سيدنا محمد ﷺ الخلقية والخلقية.